مفـــردات

نزار بيت

سترنبرج بريس

بـدءاً مـن الآن
مـي أبـو الدهـب ٧

براجم من العسل
فرانسـيس ماكي ١١

نفـس (قادم) من بعيد
هيثـم الـوردادي ٢١

«فرانكنيثيكس»: أخلاقيات مخلوقة
براين كوان وود ٢٩

التصدّع، وعلى الرغم من ذلك، التماسك
فيديريكا بويتي ٣٩

شيء طوله عشر سنين
ملك حلمي ٤٧

تم نشر هذا الكتاب بمناسبة الإجتماع المسمى بـ «اللقاء غير الرسمي»، والذي وقع في ٢٤ و٢٥ يناير ٢٠١٥ في STUK Kunstencentrum في لوفين، بمشاركة آلاء يونس، إياد الحسامي، بنجامين سيرور، تيرداد ذو القدر، تولين طـوق، جنيفر إيفانز، رنا حمادة، سماح الحجـاوي، طـه بلال، فادي الطفيلي، فرانسـيس ماكي، فيديريكا بويتي، كريستوف وايفليت، لارا الخالدي، محمد الشـاهد، ملك حلمي، منيرة الصلح، مها مأمون، مي الوكيل، هشام عوض، هشـام الخالدي، هيثم الورداني، براين كوان وود.

المحررة: مي أبـو الدهب؛ مساعدة المحررة بالعربية: أمل عيسى؛ الترجمة من العربية إلى الإنجليزية: روبن موجر؛ الترجمة من الإنجليزية إلى العربية: زياد شـكرون وناديا مـهنا؛ التدقيق اللغوي بالإنجليزية: ليز آلان ومارني سـلاتر؛ التدقيق اللغوي بالعربية: ياسين السويحة؛ التصميم: كايسا لاسـينارو؛ التنضيد بالعربية: إنجي علي

الناشـرون:
مفردات (صندوق شباب المسرح العربي سابقاً)
شارع سـافوا ٧٩
بروكسل ١٠٦٠، بلجيكا
www.mophradat.org

سترنبرج بريس
كارولين شنيدر
كارل-ماركس-ألي ٧٨
برلين ١٠٢٤ - D، ألمانيا
www.sternberg-press.com

طُبع في بلجيكا.

ISBN: 978-3-95679-176-5

© ٢٠١٥ المحررة والكتّاب والناشرون. جميع الحقوق محفوظة، بما في ذلك إعادة نشر الكتاب كاملاً أو جزئياً بأي شكل كان.

تم نشر هذا الكتاب بدعم من:

FORDFOUNDATION

Flanders State of the Art

شيء طـوله عشر ســـنين

مـلك حلمي

لست متأكدة تماماً كيف يمكن وصف شكل شيء طوله عشر سنين بكلمات.

طُلب مني أن أصف ممارستي الفنّية بثلاث كلمات. كتبت ثلاث كلمات، ولم تكفّ هذه الكلمات عن مقاطعة أفكاري. وباتت أبعاداً لشعور أحمله منذ شهور.

لم تكن لدي بالضبط صورة لهذا الشعور، أو اسم. لكن كتابة هذه الكلمات الثلاث بدأت بتخطيط مساحة لشيء ما، بين إحساس بضغط جسدي، وحاجة. زفيرٌ عالق في الصدر، فقاعة في الحلق، موشور في الذهن أبيض بشكل غير مشوّق، يتسع ويضيق؛ وهذه المساحة قد تأتي من الخارج أيضاً، كأمتار المسافة التي تضغط على أحدهم عندما يقف وجهاً لوجه مع أصدقائه. أما بخصوص ماهيّة الحاجة هذه فما زال قيد الصياغة.

...

لتخطيط فضاء هذا الشعور، يبدو من الحكمة البدء بخط. بعرضٍ متين. سأعيّن لهذا البعد كلمة «وضوح». قوي، بسيط ونظيف، كخط مرسوم بقلم الرصاص.

البعد الثاني يأتي مكان ارتفاع ممكن. لكنني لست متأكدة بعد أين يبدأ وكم يمتد، لذلك أقول أني لا أعرف. أقول أنني قد أعيّن له كلمة «صبر»، لكن على الأرجح لن أفعل ذلك. فبالتالي هو، في الوقت الراهن، بُعدٌ إحتماليّ، ولكن أيضاً مسطح أو معلّق.

البعد الثالث للشيء كان سيكون الطول. أريده أن يمتد على مدى المسافة الأقصر في الغرفة، وأصف هذه المسافة بأنها عشر سنوات. ما يتسبب بشيء من الهلع. إن كان لأحدهم، كبُعد للحاجة، أن يبسط طول عشر سنوات من فمه إلى غرفة مليئة بالأشخاص، فهذا على الأرجح سيدفعنا بقوة هائلة نحو أطراف الحيطان، مسطحاً أجسادنا داخل الإسمنت. كما قد ينفّرالأشخاص-طول من الوقت كهذا- العبء المترتب على إلتزامٍ بهذا الطول. هو السبب الرئيسي للضغط الكامن على صدري. سأعيّن له كلمة «طول العمر».

¶

للوصول إلى الشيء الذي عمره عشر سنين، لابد من السفر عن طريق أشياء أخرى: جملة: «لديه الكثير من المعرفة لكن ليس لديه معلومات»؛ قوة: «الهورمون الكوني»؛ صورة سفينة؛ نمط لأفعال تلتقي مع مرور الوقت.

لديه الكـــثير من المـــعرفة لكن ليس لديه معـــــلومات

فكرت كثيراً بجملة سمعتها في مقابلة مع-أظن-كريس كراوس، قالت فيها شيئاً عن شخصية ما: لديه الكثير من المعرفة لكن ليس لديه معلومات.

فكرت كثيراً بهذا المعنى، خاصة وأنني كنت أشعر أكثر فأكثر بشيء مشابه مؤخراً. أشعر بأنني واسعة المعرفة لكنني لا أملك معلومات. وأعني بذلك أنني «أعرف أشياءً»، سواء بشكل حدسي، بالإدراك أو غيره، لكنني اكتشف على نحو متزايد أنني أعرف الأشياء بشكل أقل دقة-إنه هذا الاحساس الغامر بالتقريب والتخمين، لأنه، وبكل بساطة، على الأقل في الواقع المصري الراهن، وربما في غيره أيضاً، هناك غياب للمعطيات الصافية، وعادة ما تكون المعلومات ملوّنة بحسب الإيديولوجيا السياسية السارية. بالتالي، فإن المعلومات التي يمكنني أن أحاول إعادة قراءتها أو تفسيرها أو تلوينها، بحسب معرفتي السابقة-ليس بإمكاني بالفعل هضمها

كي أجعل منها «معرفة» جديدة. ما يؤدي إلى شعور الفرد بأنه يزداد جهلاً. في سياق غياب المعطيات، تبدو الأرض التي يقف عليها الفرد وكأنها تنزلق وتتموّج أكثر فأكثر، مما يخلّف شعوراً بالغرق أو بالغوص البطيء، وإحساس بـ... عدم الارتياح.

سألت مؤخراً صديقاً عن رأيه بمعنى تلك الجملة. وقال أن المعرفة دون معلومات شبيهة بالإيمان. سألته عن قراءته للوضع هنا، في مصر، فاسترسل في نفس الفكرة. قال أن ما يسمى اليوم بمعرفة هو في الواقع إيديولوجيا، وعند تلقّي معلومات يشتبه بأنها غير حقيقية أو بأنها معطيات تم تفسيرها بشكل خاطئ، يقرؤها كلّ منا بحسب إيديولوجيته، وهي ما نعتبره «معرفتنا». وهكذا، أكثر فأكثر، يصبح الاعتقاد الإيديولوجي الملجأ الوحيد لنوع من المعنى أو الحقيقة، لأنه نادراً ما يكون هناك لجوء إلى وقائع أو معطيات برهانية فعلية في واقعنا الراهن. بالتالي نجد أنفسنا في وضع لا أرضية له، بسبب هذه المعركة بين التفسيرات الإيديولوجية وتلوين البراهين.

قرأت، بالتزامن مع هذه المحادثة، مقطعاً من كتاب جديد لدوغلاس كوبلاند وشومون باسار وهانس أولريك أوبريست، بعنوان *The Age of Earthquakes: A Guide to the Extreme Present* (زمن الزلازل: دليل الحاضر المتطرف)، والذي يمكنك القول بأنه منتبه لهذا الوضع، أي المعرفة من دون معلومات، إلا أن المؤلفين يُرجعون ذلك إلى الإنترنت وما يصفونه بالوصول المبكر وغير المتوقع للمستقبل. يقدّمون بعض المصطلحات لوصف هذا الشعور: أن نكون «*smupid*» (التي يمكن ترجمتها بكلمة «أذبياء» المركّبة من «أذكياء» و«أغبياء»)، بمعنى أننا اليوم على الأرجح أذكى مما كنا عليه بأي وقت، إلا أننا نشعر بالغباء الشديد بمواجهة معرفتنا لكل الأشياء التي لا نعرفها؛ و«*stuart*» («أغكياء»)، بمعنى أننا مخلوقات ذكية، إلا أننا خصصنا سعة أدمغتنا لكمية معيّنة من المعلومات، وتركنا ما تبقّى من المعلومات التي نحتاجها أو علينا معرفتها للإنترنت، ودون اتصال بالإنترنت نصبح عاجزين عن عرض ذكاءنا المذكور؛ و«*denarration*» (تفريغ السرديّة)، أي العملية التي بواسطتها يتوقّف شعور الفرد بحياته على أنها قصة.

بخصوص الوضع الذي شعرت به في القاهرة، هناك إحساس بالغرق في فيضان سميك ولزج، وفي هذا الكتاب، يقولون أن العالم يذوب. سواء كان ذلك نتيجة الاضطراب السياسي أم تغيير الإنترنت لبنية أدمغتنا ولبنية الكوكب، كلاهما بالتأكيد طرفان لظاهرة متصلة أو مشتركة واحدة.

كنت أقرأ مشاركة ليزا روبرتسون وماثيو ستادلر في *A Needle Walks Into a Haystack* (إبرة تدخل في كومة قش)، الكتاب الصادر عن بينالي ليفربول ٢٠١٤، والتي أخذت شكل سلسلة من الرسائل بين أصدقاء، يناقشون فيها إرهاقهم الناجم عن الإنتاج تحت ضغط شديد من حيث الوقت، والسوق، ورأس المال، الأخير الذي يعيدان تسميته بـ «العنصر الواحد». كذلك يبدؤون بالإشارة إليه بصفته «الهرمون الكوني» و «الاستقلاب العام الذي يفترس الحياة البشرية». سمحت القاهرة، في بعض الأحيان، باستراحة قصيرة من الافتراس الكامل من قبل «إستقلاب الهورمون الكوني»، وببعض الحيز لإيجاد أنماط غير نمط «العنصر الواحد». إلا أن عنصراً آخر يدخل الحيز، ويبدأ هو أيضاً بافتراس الحياة البشرية.

إذا كان «العنصر الواحد» نمط غير منتظم من التسارع، وعدم الاستقرار، والوجود المتقلقل، فإن «العنصر الآخر» يظهر كأنماط لقناعات تتكرر مرة بعد أخرى على مدى فترات طويلة من الوقت، تغذّيها الإيديولوجيا.

في حين يصبح العنصر الآخر أكثر بروزاً، تنشأ هجرة جماعية-الهرب بأي اتجاه خوفاً من أن يتم استهلاكك. يبدو الكل متدافعاً بحثاً عن أي فرصة سريعة في النجاة. ويبدأ الهرب نفسه بتوليد حياة متقلقلة، غير مستقرة، مؤقتة ومشتتة. تُعاش كل سنة لوحدها. تُعاش عشر سنوات كسنوات منفردة تم عيشها عشر مرات. وفي هذه العملية تضيع بعض الأشياء-أصدقاء، أرضية مشتركة، إلتزامات ربما كانت لدينا تجاه الآخرين، وكذلك الإلتزام بمحاولة إيجاد نمط غير نمط «العنصر الواحد» أو «العنصر الآخر»، والذي كان يوماً ما إحتمالاً منحته الاستراحة المتوفرة بظرف وجودنا هنا.

يبدو أن أهمية تدوين التجارب المشتتة التي جمعتنا تزداد أكثر فأكثر، خصوصاً وأنها الآن تفرّقنا مجدداً. أفكر في تعقب ما أعرفه. أفكر في السيرة. أفكر في توثيق القوى التي ترسبت في جسدي وفي أجساد من حولي. أظن أنني أريد أن أفعل ذلك ضمن مجموعة، وأن نستقصي، معاً، أي معرفة مؤاتية قد نجدها في أجسادنا عن وضعنا وعن مصادره. أظن أنني أريد لنا أن نخرج قادرين على قول هذا بوضوح، وأن نخلق منه معطيات ومعلومات، ونبدأ ببناء إطار. إطار بمعنى بناء جسم من المعرفة عن صناعة أجسادنا، والذي بالتالي يقوم بسندها/تغذيتها.

لست مهتمة بالمعنى الإنجيلي للسفينة بقدر اهتمامي بفكرة السفينة كترتيب للحياة (للمعرفة) ينجو من لحظة دمار وتشتيت. وما يروقني أكثر هو كيف تنجو هذه المعرفة بمساعدة هيكلين. أحد الهياكل هو الخاص بمركّب ما، والهيكل الثاني، الذي يهمني أكثر، هو الخاص بروتين، أو نمط ما، يتوجب على سكان السفينة تصميمه بأنفسهم-والذي لا بد أن يكون ملائماً لخدمتهم عبر المجهول القادم. هذا النمط هو كإلتزام، وأيضاً لغة، هو العمل، العمل على بناء إطار، أو أرضية تقف عليها وتحملك، وأيضاً تستمر بعدك، للآخرين.

تصبح السفينة، كنمط للأفعال، المركّب الذي نهضم من خلاله تجاربنا المُعاشة، ونخلق أطر مرجعية لتواريخنا.

نمط لأفـــعال تلتقي على مـدى فترة زمنيّة مطـــوّلة

بدأت مؤخراً بالتفكير بعمل لـ أون كاوارا، المعروض حالياً في متحف الجوجنهايم، وهو عبارة عن سجل لكل يوم. هو معرض لم أحضره بل فقط قرأت عنه. المعطيات الأساسية الممكن معرفتها والتي سجّلها عن كل يوم كانت التالية: التاريخ؛ أنا على قيد الحياة؛ تكلمت مع فلان؛ استيقظت في هذه الساعة. هذا السجل هو في آن واحد سيرة ذاتية وبورتريه شخصي بأشكالهما الأكثر بساطة. وهذا الهيكل (أو نمط العمل)، كممارسة، يحافَظ عليه مدى الحياة.

تصبح هذه الممارسة مركّباً وأرضية، نمطاً حاضناً: هذا ما أعرفه؛ هذا ما هو ملموس؛ وسوف أصنع منه سجلاً كل يوم.

منذ أن بدأت بالتفكير بممارسته هذه، أصبحت مشغولة بنوع الهيكل وكيف يجعل منه لغة. كذلك فكرت كيف يمكننا، كمجموعة، التمرن على هذا الإلتزام بنمط.

نمط يومي من الأفعال التي تحافظ على جماعيتنا وتؤسس إطاراً مشتركاً عبر مجموعة من المعطيات.

من الضروري ليس فقط تطبيق هذا النوع من الإلتزام تجاه المستقبل، وإنما من المهم أيضاً، أثناء فعل ذلك، أن نستخدمه كلغة ندوّن عبرها تاريخ صناعة كلّ منّا. من خلال هذا الإلتزام عبر الوقت، يمكننا خلق إطار، قاموس من التجارب: طريقة لرسم مرجعية والحفاظ عليها، لأنفسنا، وللمجموعة.

شيء طوله عشر سنين هو رغبة بنموذج مشترك من الأفعال المستمرة عبر الوقت، حتى عبر حياة بأكملها. تصبح العشر سنين حينها تشبثاً، ومقياس إلتزامنا بتأسيس وجودية أرضيتنا الخاصة.

ترجمة ناديا مهنا

ملك حلمي فنانة مقيمة في القاهرة. تم عرض أعمالها في «فورَم إكسباندد»، المنتدى الموسّع للبرلينالي الثالث وستّون والرابع وستّون، وفي متحف آسبن للفن، وفي «إيفا إنترناشونال»، وبينالي ميركوسول، وبينالي جوانجو. شاركت شاركت بتأسيس مشروع Emotional Architecture (العمارة العاطفية)، وهو مشروع كتابة تصدر أوّل مطبوعاتان له في العام ٢٠١٥.